

تفسير البحر المحيط

@ 388 @ تعظيماً كما أخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع . وقال الشاعر :

فإن شئت حرمت النساء سواكم .

وقال آخر .

ألا فارحموني يا إله محمد .

وإما استغاث أولاً بربه وخاطب ملائكة العذاب وقاله ابن جريج . والظاهر أن الضمير في { أَحَدِهِمْ } راجع إلى الكفار ، ومساق الآيات إلى آخرها يدل على ذلك . وقال ابن عباس : من لم يترك ولم يحج سأل الرجعة . ف قيل له ذلك للكفار فقراً مستدلاً لقوله { وَأَنفِرُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } آية سورة المنافقين . وقال الأوزاعي : هو مانع الزكاة ، وجاء الموت أي حضر وعائنه الإنسان فحينئذ يسأل الرجعة إلى الدنيا وفي الحديث : (إذا عاين المؤمن الموت قالت له الملائكة : نرجعك فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدما إلى الله ، وأما الكافر فيقول : (ارجعون لعلي أعمل صالحاً) . .

ومعنى { فِيمَا تَرَكْتُمْ } في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي أتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحاً كما تقول : لعلي أبني على أس ، يريد أس أساً وأبني عليه . وقيل : { فِيمَا تَرَكْتُمْ } من المال على ما فسر ابن عباس : { كَلَّا } كلمة ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد . ف قيل : هي من قول الله لهم . وقيل : من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والندم ، ومعنى { هُوَ قَائِلُهَا } لا يسكت عنها ولا ينزع لاستيلاء الحسرة عليه ، أو لا يجد لها جدوى ولا يجاب لما سأل ولا يغاث { وَمِنْ وَرَائِهِمْ } أي الكفار { بَرَزَخُ } حازر بينهم وبين الرجعة إلى وقت البعث . وفي هذه الجملة اقنات كلي أن لا رجوع إلى الدنيا ، وإنما الرجوع إلى الآخرة استعير البرزخ للمدة التي بين موت الإنسان وبعثه . .

وقرأ ابن عباس والحسن وابن عياض { فِيمَا تَرَكْتُمْ } بفتح الواو جمع صورة ، وأبو رزين بكسر الصاد وفتح الواو ، وكذا فأحسن صوركم وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسر الفاء شاذ . { فَلَا أُنْسَابَ } نفي عام ، فقال ابن عباس : عند النفخة الأولى يموت الناس فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أموات ، وهذا القول يزيل هول الحشر . وقال ابن مسعود وغيره : عند قيام الناس من القبور فلهول المطلع اشتغل كل امرء بنفسه فانقطعت الوسائل وارتفع التفاخر والتعاون بالأنساب . وعن قتادة : ليس أحد أبغض إلى الإنسان في ذلك اليوم ممن يعرف لأنه يخاف أن يكون له عنده مظلمة ، وفي ذلك اليوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه

وصاحبه وبنيه . وقيل : { فَلَاحَ أَنْسَابَ } أي لا تواصل بينهم حين افتراقهم إلى ما أعدّ لهم من ثواب وعقاب ، وإنما التواصل بالأعمال . .

وقرأ عبد الله ولا يسألون بتشديد السين أدغم التاء في السين إذ أصله { يَتَسَاءَلُونَ } ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا وبين إثباته في قوله { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } لأن يوم القيامة مواطن ومواقف ، ويمكن أن يكون انتفاء التساؤل عند النفخة الأولى ، وأما في الثانية فيقع التساؤل . .

وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في أوائل الأعراف . وقال الزمخشري : { فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ } بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف انتهى . جعل { فِي جَهَنَّمَ } بدلاً { مِنْ * خَسِرُوا } وهذا بدل غريب ، وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به { فِي جَهَنَّمَ } أي استقروا في جهنم ، وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما لمسمى واحد على سبيل المجاز لأن من خسر نفسه استقر في جهنم . وأجاز أبو البقاء أن يكون { الَّذِينَ } نعتاً لأولئك ، وخبر { أُولَئِكَ } { فِي جَهَنَّمَ } والظاهر أن